**المحاضرة التاسعة : نصوص من خطب صدر الإسلام**

**مقدمة**

ارتبط تطور الخطابة في عصر صدر الإسلام بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم . الذي كان يعرض على قومه من قريش آيات القرآن الكريم. وهو يخطب في الناس داعيًا للإسلام ،محدثا بمبادئه وأساسياته . وقد كانت أحاديث الرسول تدعو لضرورة نبذ العصبية القبلية ونبذ المنافرات الجاهلية القائمة على التفاخر بالآباء والأنساب.

فكانت خطب الرسول )ص( تشرع للمسلمين وترسم لهم حدود دولتهم وتنظم حياتهم التي ينبغي أن تقوم على الإخاء والمساواة والتعاون في سبيل الحق والخير . كما كانت خطب النبي تحتفي بقيم الإسلام الروحية التي تقوم على معرفة الله الواحد الأحد والصلة به. كما تناولت خطبه المشاكل الدنيوية كمشكلة الرقيق ومشكلة توزيع الثروة ومشكلة العلاقات بين الرجل والمرأة وعلى هذا كانت خطابة الرسول عليه السلام متممة للذكر الحكيم ومن ثم كانت فرضًا مكتوبًا في صلاة الجمعَة ثم مواسم الحج والأعياد.

أما في عصر الخلفاء الراشدين. فتكثر خطب الجمعة والأعياد والمواقف التي تجلت فيها براعة هؤلاء الخلفاء كموقف أبي بكر حين انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وموقفه يوم السقيفة. وكذلك موقفه حيث ارتد كثير من العرب وامتنعوا عن آداء الزكاة. وكم من خطيب وقف حينذاك يحض قومه على الثورة أو يحثهم على الطاعة، ولا بد أن الملاحظ هو أن انتشار الإسلام في الجزيرة أعدًّ منذ أول الأمر إلى أن تتكاثر خطب الجمعة والأعياد على المسلمين في كل مكان يحدونه من الجزيرة.

ثم تكون الفتوح،ويخطب أبو بكر في الجيوش الغازية يحض على الجهاد ونشر الدين الحنيف في أطباق الأرض. وترتفع أصوات القادة بالخطابة في كل قطر حاثين الجنود على الصبر في القتال حتى الاستشهاد طالبين لما عند الله من الثواب.

ولم تقف الخطابة الدينية في هذا العصر عند الجزيرة، فقد أخذت تحل مع المسلمين في كل بلد من عوامل نموها إذ تكاثر من يرد فتحوها. وكان هذا بدون شك عاملا هَا دونها ومن يحسنون حَوْك وصياغتها مستلهمين القرآن الكريم وخطابة الرسول فيما يعظون الناس به من مواعظ حسنة.

ويتولى عمر بن الخطاب الخلافة فيكثر في الخطابة لا في الجمع والأعياد ومواسم الحج فحسب بل مع كل حادث ومع كل خير يأتيه بفتح. وقد سار على هدى أبي بكر في استشارة أصحابه في كل مهم وكل ما يجد من تشريع. وخاصة في معاملة الآمم المفتوحة. وكان هذا بدوره عاملا من عوامل نمو الخطابة في العصر ،وفي عهد علي تكثر الخطب بين أنصار علي وخصومه فهؤلاء يدعون إلى طاعته وأولئك يدعون إلى منابذته.

وانتدب علي أهل العراق لقتال معاوية وأهل الشام. فخرجوا معه ين على حدود الفرات

إلى صَف حيث التقوا بمعاوية وجنوده. وفي هذه الآثناء تتكاثر الخطب بكثرة مفرطة وخاصة في صفوف على وأصحابه. وكان هو نفسه خطيبا مفَّوهًا. وكان بجيشه غير خطيب من أمثال عمار بن ياسر وقس بن ساعدة.

**خصائصها:**

الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. البعد عن التكلف. التخلص من الصنعة اللفظية، بدأها بالحمد والثناء والشكر لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . نقاء الألفاظ واختياره. وحدة الموضوع. جزالة اللفظ ورصانته. إيراد الحجج والبراهين. الإقناع والتأثير في المستمعين واستعمال أساليب التوكيد و الاستفهام. الآمر والنهي والدعاء. استعمال السجع في جل الخطب.

لقد نمت هذه الخطابة في هذا العصر نموًا واسعًا، بتأثير الإسلام من جهة وتكاثر الآحداث وتتابعهامن جهة ثانية. وقد دارت معانيها في القرآن الكريم وخطابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه .وهي معانٍ جديدة لم تكن للعربية بها عهد. معاني هذا الدين الحنيف الذي بعث لغتنا ونثرها بعثاجديدًا.

**نموذج من خطبة هاشم بن عبد مناف**

من زعماء قريش في القرن السادس، هو جد والد النبي محمد صلى الله عليه وسلم

قيلت هذه الخطبة في منافرة ما بين قريش وخزاعة حيث كانت بينهما نزاعات حول تولي المناصب

«**أيها الناس نحن آل إبراهيم ,وذرية إسماعيل وبنو النضر بن كنانة’ وبنو قصي بن كلاب ’وأرباب مكة ’وسكان الحرم ’لنا ذروة النسب ’ومعدن المجد’ولكل في كل حلف’يجب عليه نصرته’وإجابة دعوته’إلا ما دعا إلى عقوق العشيرة ’وقطع الرحم»**

الحرم ،مكان حول مكة يحرم فيه القتال في المواسم.

**خطبة قس بن ساعدة**

كاهن من بني إياد من عرب الجنوب،كان أسقفا مسيحيا في مدينة نجران في اليمن ،وعرف بالزهد والتقشف والانكماش عن مباهج الحياة،وكان يقصد إلى سوق عكاظ في الحجاز إبان المواسم ،ويخطب في الناس داعيا إلى عبادة الله،وإلى الاعتبار بأحداث الدهر،وكانت وفاته قبل الهجرة بنحو 22سنة.أي حوالي 600للميلاد.قال في خطبة ألقاها في سوق عكاظ.

«**أيها الناس اسمعوا وعوا،وإذا سمعتم شيئا فانتفعوا ،إنه من عاش مات ،ومن مات فات ،وكل ما هو آت آت ،ليل داج،وسماء ذات أبراج،أرض ذات فجاج ،إن في السماء لخبرا،وإن في الأرض لعبرا،ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟،أرضوا بالمقام فقاموا؟أم تركوا هناك فناموا**

**يا معشر إياد،أين الآباء والأجداد؟وأين الفراعنة الشداد،أين من بنى وشيد،وزخرف ونجد،وزخرف ونجد؟لقد طحنهم الثرى بكلكله،ومزقهم بطوله»**

**شرح المفردات**

**الأبراج،**واحدها برج،مجموعة من النجوم توحي صورة خاصة**/الفجاج**،الطرق الواسعة بين الجبال/**نجد البيت**،مع تشديد حرف الجيم،أي زينه **/الكلكل**،الصدر ،وهو الكتلة الصعبة في صدر الجمل/**الطول**،بفتح الطاء،القوة والقدرة.

**-خطبة عمر بن الخطاب**

قال الفاروق عمر ( رضي الله عنه):" أيّها الناس، إنّ بعض الطمع فَقْر ، وإنّ بعض اليأس غِنى، وإنّكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجّلون في دار غرورٍ، كنتم على عهد رسول اللّهصلّى اللّه عليه وسلّم ، تُؤخذون بالوحي، فمن أسرّ شيئًا أُخذ بسريرته، ومن أعلن شيئا أُخذ بِعلانيته ؛ فأظهِروا لنا أحسن أخلاقكم ؛ واللّه أعلمُ بالسّرائر؛ فإنّه من أظهر لنا قبيحا وزعم أنّ سريرته حسنة لم نصدّقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننّا به حسنًا، واعلموا أنّ بعض الشُّحّ شُعبة من النّفاق، فأنفقوا خيرًا لأنفسكم، ومنْ يوقَ شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون .

أيّها الناس؛ أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتّقوا الله رَبَّكم، ولا تُلبسوا نساءكم القباطي، فإنّه إن لم يَشِفّ فإنّه يَصِف.

أيّها الناس: إني لوددت أنْ أنجُوَ كفافًا لا لي ولا عليّ، وإنّي لأرجو إن عُمّرتُ فيكم يسيرًا أو كثيرا أن أعمل بالحقّ فيكم - إن شاء الله- وألّا يبقى أحد من المسلمين – وإن كان في بيته – إلّا أتاه حقّه ونصيبه من مال الله، ولا يُعمل إليه نفسه، ولم ينصب إليه يوما. وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله؛ ولَقليل في رفق خير من كثير في عنف، والقتل حَتف من الحتوف، يصيب البرّ والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه." كتاب: تاريخ الطبري ج4 ص215-216.

**الأسئلة :**

حدد نوع هذا الفن النثري

أهم خصائصه وأركانه

-خطبة عمر بن الـــخطاب رضي اللّه تــــــــعالى عنه حين شيّع جيش سعد بن أبي وقاص وجهه لحرب العراق: "إنّ الله تعالى إنّما ضرب لكم الأمثال، و صرف لكم الأقوال، ليحيي بها القلوب، فإن القلوب مــيتة في صُدورها حتى يحييها الله….، من علم شيئا فلينتفع به ، و إنّ للعدل أماراتٌ و تباشيرُ، فأما الأمارات فالحياءُ و السّخاءُ، و الهينُ و اللينُ، و أما التــــباشير فالرحمة….، و قد جعل الله لكل أمر بابا، و يسر لكل باب مفتاحا، فباب الــــعدل الاعتبار و مفتاحه الزهد، و الاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، و الاستعداد له بــــتقديم الأعمال، و الزّهد أخذ الحق من كلّ أحد قبله حق، و تأدية الــــــحق إلى كلّ أحد له حق، و لا تُصانع في ذلك أحدا، و اكتف بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه الكفاف لم يُغنه شيء.إني بينكم و بين الله، و ليس بيني و بينه شي، و إن الله ألزمني رفع الدعاء عنه، فأنهوا شُكاتكم إلينا، فمن لا يستطع فإلى من يبلغناها، نأخذ له الحقّ غير مُتعتع".

شريف البرغوثي : من الخطابة العربية ،ص38/39.